Dr. Eng.
Nader Riad

" أم المصريين " لقب له تاريخ

صفية زغلول هي قرينة الزعيم الخالد سعد باشا زغلول ورفيقة كفاحه ، وابنة مصطفي فهمي باشا رئيس وزراء مصر آنذاك .

وتعود تسميتها بأم المصريين لواقعة عودة الزعيم سعد زغلول ورفاقه من منفاه بجزيرة مالطة تنفيذاً للقرار العسكري للمندوب السامي البريطاني بنفيه خارج البلاد .

وقد تصادف يوم عودته في ٤ أبريل سنة ١٩٢٣ إقفال بوغاز الإسكندرية بسبب هياج البحر فباتت سفينة الزعيم خارج البوغاز . وهب الشعب المصري علي بكرة أبيه ليستقبله بميناء الإسكندرية ، وامتلأت الميناء الشرقية بآلاف الفلائك تحمل أبناء الإسكندرية الذين أبوا إلا أن يبيتوا في فلائكهم ليصاحبوا دخول سفينة الزعيم إلى الميناء في الصباح ، مما دعا الحاكم العسكري ان يصدر أمراً بحظر الهتاف باسم سعد زغلول أو الخروج عن حدود المظاهرات السلمية ، ورغم هياج البحر وصعوبة ذلك علي الفلائك الصغيرة إلا أن بعضها خرج خارج البوغاز ليقترب من سفينة الزعيم رغم الخطورة البادية من ذلك .

ومع صباح يوم ٥ أبريل ١٩٢٣ تحركت سفينة الزعيم داخلة من البوغاز وسط مظاهرة بشرية بحرية تحدث لأول مرة في التاريخ ، ووقف الزعيم مشحوناً بعواطف جياشة يصعب وصفها يلوح لابناء مصر ثم التفت فجأة الي قرينته وقال لها : يا صفية ارفعي اليشمك ، وعلي الفور رفعت صفية زغلول اليشمك كاشفة عن وجهها لأبناء شعبها باعتبارهم جميعاً من أهلها وخاصتها . وفهمت الجموع علي الفور دون لغة تخاطب المعني والمضمون من ذلك الفعل ، فارتفعت الحناجر تشق عنان السماء هتافاً لسعد زغلول ، وبذا سميت صفية زغلول منذ تلك الواقعة بأم المصريين .

تليفون : ٥٩١٠٠٥٠ / ٥٩١٨٠٤٣ (٠٢) فاكس : ٥٩١٣٧٦٢ (٠٢) ص.ب : ٢٠١٦ – ١١١١١ القاهرة

أما علي الشاطئ فكان فنان الشعب سيد درويش قد اعد موالاً مطلعه " زغلول يا بلـــح " ليرد عليه الشعب بعبارة " يا بلح زغلول " وذلك كناية وتورية للهتاف بإسم الزعيم رغم منع ذلك صراحة بموجب الأمر العسكري .

وامتطي سيد درويش عربة حنطور وانطلق صوته يعلو في شـــوارع الإســـكندرية مرافقـــاً لموكب الزعيم بصوته الجهوري الذي ما كان ليحتاج لميكروفونات خلا منها ذلك العصر .

ورأي الملك فؤاد أن يستقبل الزعيم سعد زغلول ويخرج معه في سيارة مكشوفه ليرد تحيـــة الجماهير في تهنئة واضحة للشعب بعودته ، وارتفعت الهتافات لأول مرة بعبارة " يحيا الملك مع سعد " وهو أمر يخالف جميع الأعراف الملكية ولكن تم تقبله بترحاب بدءاً من الملك والقصـــر والصحافة واخيراً من الحاكم العسكري رغماً عنه .

وقد كلف الملك فؤاد الزعيم سعد زغلول بتشكيل الوزارة وهو أمر شكل تحـــدياً للحـــاكم العسكري ، ومن الملابسات الشهيرة أن وزارة سعد ضمت في اقتراحها علي الملك اثنين مـــن الوزراء الأقباط ، وكان المتبع قبول وزير قبطي واحد في كل وزارة .

وعقب الملك قائلاً " إن في ذلك تجاوزاً للنسبة " فأجاب ســـعد " إن الإنجليـــز في إطلاقهـــم الرصاص علي المتظاهرين كانوا لا يفرقون بين المسلم والقبطي ، كما أنهم لم يراعوا النســـبة في نفيهم لرفاق سعد وكان اغلبهم من الأقباط " ، فوافق الملك علي الأسماء المقترحة دون تحفظ .

دامت مصر لأبنائها مسلمـــين وأقـــباط وطناً يعيش فيهم قبل أن يكون وطنٌ يعيشون فيه .

تليفون : ٥٩١٠٠٥٠ / ٥٩١٨٠٤٣ (٠٢) فاكس : ٥٩١٣٧٦٢ (٠٢) ص.ب : ٢٠١٦ – ١١١١١ القاهرة